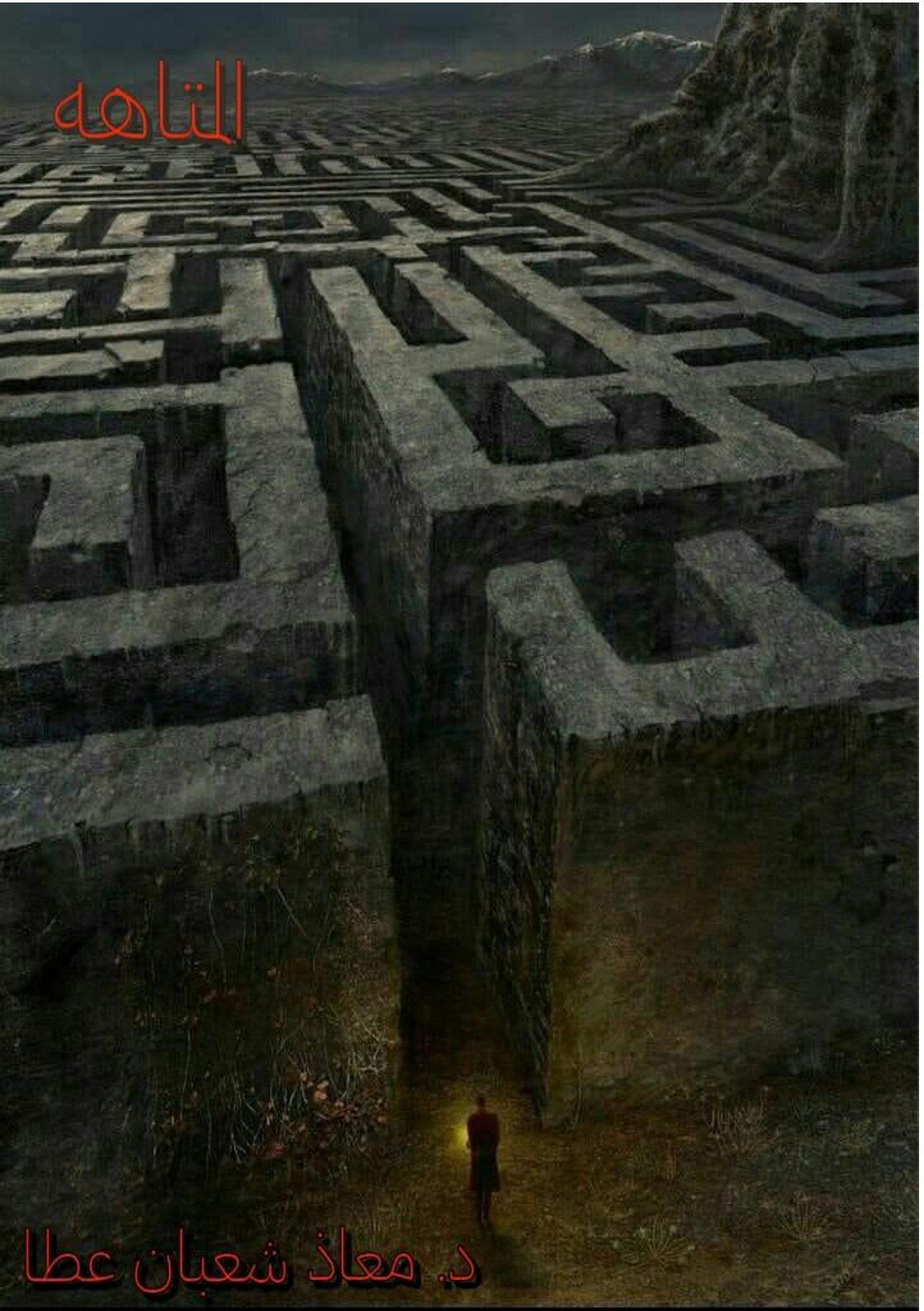
التاهه
د. معاذ شعبان عطا

رواية

المتاهه

د. معاذ شعبان عطا

القاهرة – مصر

٢٠٢٣

الرواية: المتاهه

إعداد: د. معاذ شعبان عطا

حقوق النشر محفوظة للكاتب، ولا يجوز نشر أي جزء من هذه الرواية، أو إختزان مادتها بطريقة الإسترجاع أو نقله علي أي نحو أو بأية طريقة سواء كانت الكترونية أو ميكانيكية أو خلاف ذلك إلا بموافقة الناشر علي هذا كتابة ومقدماً..

رقم الايداع : ٢٧٣٩٦

الترقيم الدولي : 978- 977- 94- 7896- 8

إهداء إلي هذه الحياة البائسة، تبالًك

فضفضة،،،

أما آن لكي يادنيا أن تبتســـمي لي، لاتقنعيني أني مازلت علي الطريق، فـأنا تائـه في داخلي، لا أعرف في أي اتجاه أســـير، أصـــبحت شخصـــاً كنت أكره صـــفاته بالأمس، والآن أنا هو.. محبوس بين ذكريات لا أســـتطيع نســـيانها، وأحياناً لا أحب الـــــــنســـــــــــــــــيــــــــــان..

هل من الممكن أنني وُلدت في عالم ليس عالمي؟ زمان غير زماني؟ أم أنني ملعون بلعنة ســـاحر ؟ الأكيد أني وحيد، تائه، حتي ولو كان بجانبي الكثير والكثير، فهم في سـكرات الدنيا هائمون، والكل محبوس في قصته، بل الكل أموات، ومن يمشي علي الأرض حالياً هم أشـــــبـــاه أحـــيـــاء، أجســـــاد بـــلا روح.. صرعات تليها صراعات، بلا هدنه علي النفس، تكاد أن تهرب من هذا الجســـد البالي، لتتحرر من عبودية هذا العالم البأس، ولكن لم يأت دورهـا بعـد، فـالحيـاة كالقطـار، ولكـل واحـد منـا محطتـه، هو ينتظرهـا، وهي تنتظره، وفي الرحلة تحـارب، تتـألم، تُجرح، تُخدع، تنهار نفســك، تُســلب روحك، ولكن في المجمل تظل تائه...

التائه ليس من ضل طريقه، ولكن غرق في هموم الطريق وأهواله، حتي فقد روحه وشغفه في الحياة، يشعر بأنه يعيش في عالم ليس عالمه،يلجأ للظلمه والخيال، كي تهدأ روحه، يصنع عالم خاص به يعيش فيه..

لا تخونوا عهد المحبة والمودة بينكم، ولا تفرطوا في أنفسكم من أجل آخريين، فالنفس إن فُقدت.. لن تعود

أركب سيارتي، وأسير في الطريق.. ليلاً، بلا هدف ولا رغبة، أهرب من نفسي- التي تصارعني كل ليلة، تحارب النوم ليهرب من عيني، وكأن هناك من سلطها ، تتشاجر الأفكار في داخلي، وتغمُرها الذكريات، وعيني تنظر إلي الطريق دون أي إحساس، سكوت يطفوا علي الساحه، جَسد بلا روح، ثم يظهر صوتاً من داخلي يحدثني، دون أي إستماع له، وماهي إلا لحظات من الانهيارات الداخلية، وإذ بسيارة تظهر من العدم .. فجأة أمامي، ولاأدري ماحدث لي بعدها،،، وجدت نفسي- في عالم غريب، كأني طيف، أطفوا بين السماء والأرض، أتنقل من مكان لآخر بسهولة ويسر-، ولا يوجد أحد معي، فأنا وحيد كعادتي، شريط من الذكريات يمر أمامي عيني، واضحاً، كأنني أشاهد حياتي في فيلم أو مسلسل..... رأيت أبي الذي كان يعمل موظف بالسكة

الحديد، المكافح المكد، من أجل أن يوفر لي ولأخواتي حياة سعيدة، وعلاقتة بأمي الطيبة الحنونة ، والفرحة التي غمرتهم مع أول نطقي بأسمائهم، ثم فرحة دخولي الروضة، وإنتظار عودتي إلي البيت بشوق ولهفة، وكأنني غبت عنهم لسنوات، ليس لساعات، رأيت بعيني أول عجلة أشتراها أبي لي، من جمعية قبضها، وأمي وهي تساندني علي ركوبها، وخوفهم الشديد لمرضي، وأبي وهو يحملني داخل جاكت يرتديه، ويجري بي تحت أمطار الشتاء دون الإهتمام بنفسه، ليبحث عن طبيب، أشاهد كل هذا أمام عيني، كأنه شريط سينما لا يتوقف، يستمر في الذكريات دون أي فقدان في محتواه، أختي التي تكبرني سناً وهي تذهب إلي المدرسة وترتدي المريله ذات اللون البني، وضفائر شعرها المنسقة، فكانت أمي تجلس من خلفها لتضفر شعرها إلي ضفيرتين، ثم تلبس حقيبة ظهرها ذات اللون الأسود، ويأخذها أبي معه كي يوصلها إلي المدرسة، وأمي وهي ترتب البيت، وتستمع إلي القرآن الكريم بصوت الشيخ محمد رفعت، واصطحابها لي معها إلي السوق تشتري الخضار، والعيش البلدي السخن، ذكريات من ماضي، ليته دام وأستمر،،،،

الشارع،،،

رأيت شارعنا، الذي كنت أسكن فيه، وأصدقاء الطفولة الذين كنت ألعب معهم بالساعات، وألعاب الطفولة التي أشتاق إليها، فكانت متعتي في لعبة الأستغماية، والكورة الشراب، واللعب بالنحلة الخشبية والبلي، وغيرها من ألعاب، كأني عُدت مرة أخري إلي طفولتي، وكم كانت الحياة بسيطة والإبتسامة لا تفارقني، وهروبي مع الأطفال إلي إكتشاف الشوارع المجاورة، وتأخري عن البيت، دون أي أخبار عني، وأمي وهي تستقبلني بالصراخ الذي يليه الضرب ثم حضن منها ينسيني ضربها لي، فكان كل هذا بدافع الخوف والحب لي،،،

وغيابي عن الشارع باليوم والأثنين كنوع من أنواع العقاب الذي أقضيه، وتجمعنا في الشارع أنا والأصدقاء مرة آخري، نتقابل بالترحاب وكأننا لم نلتقي منذ زمن، نفكر في كارثه جديدة نفعلها، لنستمتع بطفولتنا،،،

مر شريط الأيام أمام عيني، وكأن هناك من يسرعه، إلي أن جاء شهر رمضان، أري نفسي والجيران مجتمعون، نبدع زينة الشارع من ورق الكتب القديمة ونلصقها بالنشاء علي حبل طويل، ثم نعلقها بين البيوت وبعضها البعض، ثم أبي وهو يصطحبي مع أخوتي لنشاهد مدفع الإفطار، أشعر بكل هذه التفاصيل كأني أعيشها

الآن، وتجمعي مع أطفال الجيران بعد العشاء ونهتف في الشارع " هاتي العادة ياحجة سعادة لناخد الباب نعمله سجادة"... وفجأة يتوقف شريط الذكريات، وكأن هناك من أطفأ الفيلم، وأشعر بنفسي أطير مرة أخري بين السماء والأرض، هناك أشخاص من بعيد، ولكن لا تظهر ملامحهم واضحة،،،

أتوقف مرة أخري عن الطيران، وكأن هناك من يتحكم في، مثل عرائس المريونت، وإذ بشريط الذكريات يعمل مرة آخري..

المنزل،،،

وجدت نفسي في غرفتي، ألعب، وأجري إلي أمي في الصالة وهي تشاهد الشيخ الشعراوي، وأبي يجلس بجوارها، فأجلس بينهم، ربما كنت أبحث عن دفئ لا أجده في الملابس، ولا اللحاف، أشاهدهم وهم يتثامرون، ويتناقشون، وأحياناً يتجادلون، ولكن بكل إحترام، وكنت أستغل هذا النقاش بينهم، وأسرق الريموت علي فوازير " نيلي وشريهان"، لنقطع حديثها باحثين علي من أستغل حديثها، ليجدونني بينهم، متَسمر العينين علي هذه الفوازير،،،

تغير المشهد إلي.. أختي وهي تجلس مع إحدي صديقاتها، يتحدثون عن المدرسة والمدرسين، وزملائهم، من يحبون ومن يبغضون، ويتناقشون فيما سيقضون وقتهم سوياً، مرة آخري

تغير المشهد إلي رمضان، وتجمع الأسرة عند الفطار، أري نفسي- أشاهد بكار، هذا الكرتون الذي دخل كل البيوت، فما كان هناك برامج مقالب ولا توك شوز آنذاك،،،
طرت مرة آخري، فما وجدت نفسي إلا فوق مبني عالي، لا تظهر ملامحه، ولا ملامح ما يحيط به، ثم عاد شريط الذكريات للعمل، ويا ليته ماعاد هذه المره إلي العمل، رأيت مشهد كنت أتمني أن أمسحه من ذاكرته، حاولت كثيراً ولم أنجح في ذلك،،،

الوفاة الأولي،،،

رأيت أبي علي فراشه، يزوره الأطباء دون جدوي، والأهل يقبعون في منزلنا، غالباً كانوا ينتظرون أمراً ما، عرفته فيما بعد،،، أري نفسي جالساً أشاهد التليفزيون، وإذا بصراخ يخرج من غرفة أبي، نعم أنها أمي، تصرخ بصوت عالي، ولكن خالتي تهدئها، وأعمامي يدخلون علي أبي، ويغيبون في الداخل،،، أجري لأنظر ماذا يحدث في الداخل،، أنه أبي نائم، أيها الأوغاد، صراخكم سوف يوقظه، لم أكن أعلم وقتها، انه لن يوقظه صوت القطار نفسه، أنظر إلي خالتي التي تشدني بعنف لتحضني أنا وأختي ثم أعمامي، ماذا بكم؟ لماذا كل هذا الدلال؟ كل هذا كان يخطر ببالي وقتها.

مر شريط الذكريات مجتازاً بضع أيام، لربما يكون نسياها من أعد هذا الفيديو ولكني لم أنسي ـــ أبداً... أري أمي أمام عيني، وهي تجلس بمفردها تبكي، تحضـني أنا وأختي بشـدة،،، أشـعر بهذا الحضـن الذي ضم ثلاثيتنا، كما أني أشـعر بعد الآمان، من وقتها، فكانت أسرتنا جميلة دافئة، كنت أشـعر بالدفئ في الشـتاء القارص، بوجود أبي، أري الأطفال يسرعون إلي حضـن أبائهم، وأنظر إليهم والدموع تنهال علي خدي، تائه بين نفسي، لا أعرف مـاهـو مصـيري بـدون هـذا الآمـان،،، أري لقطات في هذا الشريط ربما لم أكن شـاهدتها بعيني، أختي وهي عائدة من المدرسـة تبكي، لأنها إعتادت أن تخرج من مدرستها تجد أبي ينتظهر، وحديث أصحابها عن أصطحاب والدهم لهم لقضاء أجازات سعيدة، أشعر بالحسرة وأنا طيف، كم كان هو شـعوري أنا وأختي وقتها؟ لربما كانت نهاية العالم لنا،،، مالهذه اللقطات من سـوء، لماذا لا يتوقف بث هذا الشريط اللعين هذه المرة؟ أين أنت، يامن تلعب بي وتحركني؟ القي بي من علي هـذا المبني العـالي، أرحني من هـذا العـذاب.. تحولت طفولتي من سـعيدة إلي بائسـة في لحظات، أصبحت لا أحب الشـارع ولا اللعب، ولا أرتاح سـوي في غرفتي، جالساً بمفردي، أخشي نظرات الأطفال في الشارع، لا أحب المدرسة، وأخاف من تجمع الآباء، لماذا أشـعر بكل هذا الآلم وأنا طيف؟

أيشعر من هو مثلي بكل هذا الوجع والحسرة؟ ربما كنت أول من يعرف هذه الأجابة، نعم.. فالحسرـــة والآلم كالهواء ترفرف في كل مكان، وتدخل بدون إســـتئذان، ربما كُتب علي جبيني تائه منذ نعومة أظافري، حتي وأنا كالطيف، وهناك من يتحكم فيه، تائه لا أعرف لمـاذا أنا هنـا؟ ولا إلي أين أذهـب؟ والخ... الخ وإذا بمحرك العرايس، يلعب بي مرة أخري،،،،

السحب تركض في الفضاء الرحب ركض

الخائفين

والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين

والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين

لكنما عيناك باهتتان في الأفق البعيد

ايليا أبو ماضي

المحكمة...

وإذ بنفسي أمام بحر لم اره من قبل، وليس له نهاية، ولكن أشعر ببروده هوائه، وإذ بالشريط يعمل مرة أخري من جديد، ولكن هذه المرة، أري أمي تجرني من يدي مع أختي، من محامٍ إلي آخر، لإنهاء أوراق معاش والدي، الذي لم يصرف منذ وفاته، وأشم رائحتهم الآن كما يشم الذئب فريسته، فقد كانوا أجشع من بني صهيون في طلباتهم المادية، مما جعل أمي تبيع أخر ماتبقي لها من ذهب وهي دبلة زواجها بأبي، أري الحسرة في أعينها، ولكن مابيدي حيلة، أختلس الوقت، لألعب الكرة مع أصدقاء، كي أنسي ولو مؤقتاً، ولكن كان ينتهي مع نداء والدتي لي،،، ثم أري عائلتي مجتمعة، ويسود المشهد صوت عالي يملؤه تراشق الألفاظ، وصراع الميراث، ليس كأي صراع، يمزق كبد العائلة إلي فتات، وكما قال الشاعر:

والجد محجوب عن الميراث

وبالأب في أحواله الثلاث

وهكذا ابن الإبن بالإبن فلا

ترغ الجدات من كل جهة

وبالأم فافهمه وقس ما أشبهه

وتسقط الإخوة بالبنينا

وبالأب الأدني كما روينا

من هذا؟ أنا وأمي في ساحة المحكمة ! أين أختي؟ اها أراها هناك مع خالتي، ولماذا أرانا في المحكمة بإستمرار؟ هل مازال موضوع معاش والدي؟ لا ... لا تذكرت أنها أمي تسعي لأخذ ميراث أبي الشرعي من أعمامي، الذين كانوا لطفاء في حياة أبي، وأذ بهم وحوش ضارية، تأكل كل من حولها، وإذا جاعت أكثر تأكل لحمها، وتكرار مشاهد المحكمة في هذا الفيديو اللعين، ذكرني بأن المحاكم الشرعية أخذ مننا سنوات وسنوات دون أي نتجة، بل كبدنا مصاريف لا حصر لها، م أقبح المحاكم؟ وما أقذر هذا القانون؟ الذي يهضم حقوق اليتامي، ويسمح للسارق بالتمتع بسرقته، ولكن أمام أعين المسروق، لا أراها سوي هكذا، وكما قال الشاعر:

أبوة كانت خطبتي غير مستحبة

أصل أنا حبيت أعالج في المرض، أعيا الأطبا

كنت بحكي ليهم بابا ع الميراث

وال ياكل حق أخته، يبقي ظالم م الاساس

كان كلامي في قلوبهم كالرصاص

قالوا شيخنا عقله راح منه خلاص

جاي غريب وعاملنا من الحبه قبه

يبقي يخرج من بلدنا لأجل تاني نعود أحبه

أيوة كانت خطبتي غير مستحبة

واندهشت لما أهل البلد دي رموني بالمسبة

وال عابني وال سابني في الشدايد وأستخبي

الشيخ جمال الدقناوي

وإذ بالفيديو يتوقف، وأسمع أصوات صراخ، ولكن لا أحدد أي صوتاً منها، وفكرت أنه ربما يكون محرك الدمي خاصتي، يتصارع مع أحد، فضحكت بصوت عالي، فرحاً فيه، كم كان يثير غضبي

وغيظي هذا اللعين؟ ثم هدأ الصوت مرة أخري، وعاد هذا اللعين إلي تحركي مرة أخري، فأجد نفسي وسط حديقة كلها زهور جميلة، زكيةً رائحتها، أين أنا؟ وما هذه الزهور الفواحه؟

الحب،،،

صدقني ياحبيبي مش بكدب عليك

صدقني .. روحي وعمري ليك

ونفس أعيش عمرين فوق عمري عشان أرضيك

بس أنت ترضي بقلبي ليك

بدأ شريط الفيدو من جديد في بث لحظات جميلة، فأنا من أردد هذا الشعر وأصيغ أبياته، وأرتبها، أنه الحب، دقات قلبي مرتفعة، وتتسع قرنية عيني، وتلمع بشدة، وجسدي مرتبك، كأنه تائه في تلقي أوامره من هذا الشئ الصغير في الرأس " العقل"، وإذ بي أري جميلة... يالها من صفة وأسم لهذه الفتاة، التي نزعت قلبي من مكانه، ورسمت بسمة علي وجهى لم أعدها في قلبي، ما له يسارع في نبضاته هكذا؟ أظن أنه سيفضحني، أنها زميلتي في دروس

الثانوية العامة، ماهذا أراها تنظر إلي، أو بالأصح تختلس النظر، ثم تشيح بوجهها عني إذا ماشعرت أني سأرها، ماأجمل البدايات، ليتها تدوم، وإذ بي أنسج من خيالي أروع الكلمات ليخطها قلمي علي ورق أعطره بأفضل العطور، ليرسم جواب حب، أرسله لها في الدرس القادم، وإذ بيدي تلمس أطراف أناملها، مازلت أشعر بتلك الرجفة في جسدي، كأنه زلزال بمقياس 7 ريختر، غير معالمي، ولون بشرتي، وما زادني إلا ذوباً في عشقها، " مر الشريط سريعاً" وإذ بي أقف معها أمام الدرس، أعبر لها عن حبي، وصدمتي بأنها تبادلني نفس الشعور، فطالما ظننت أني أحبها من طرفي دون أن تشعر هي بما يحرق فؤادي،،،

أهيم ليلاً ممسكاً سماعة التليفون الأرضي ونتحدث سوياً عن الحب، والغرام، وأحلامنا، ويالها من أيام ثقيلة نتمني أن تزول سريعاً، ليكلل هذا الغرام، بعقد يجمع بيننا عند مأذون بحضور كل أهلنا، كم كنت أعشق هذا الساحره! فضفائر شعرها تنسدل علي كتفيها، وتتطاير مع نسائم الهواء، وتحرك قلبي معها، ونظراتها الخاطفة التي تغزوني وتأثرني، كأني سجين يعشق ساجنه، وإذ بالشريط يسرع.. يسرع، ويأتي مشهد ربما نسيت جزءً منه، ولكن لم ينسي قلبي ماحدث له.

الخذلان،،،

جميلة تكسر قلبي، تنهال عليه بمطرقة من الفولاذ، لتحطمه إلي قطع متناثرة في كل مكان، فباعت حبي لها، لمن هو أغني، من يستطيع أن يسعدها، من يوفر لها السعادة المادية، شعرت بضيق صدري وأنا طيف، كم تحول حبي لها إلي بغض؟ أذلني حبها، هرب النوم من عيني، تهت في حياتي مع أني أعلم الطريق، غلبي قلبي عقلي، وسرت ورائه، حتي وجدت نفسي منعزلاً، وحيداً، فقدت شغف الحياة والنجاح، لم تعيرني الأمتحانات إهتمام، فمن كنت أذاكر لأجلها، باعت حبي وعشقي، لمن أنجح الآن؟ سلبتني روحي ونفسي، فلا روح لي، ولا حياة، فأنا كالأحياء الأموات، أسير في الطريق، لا أعرف إلي أين أذهب، متاهه، تشغلني، فكل الطرق تشبهه بعضها البعض، ويتشكل وجهها في كل الوجوه، حتي ظننت أني لن أقدر علي الهروب، وقال الشاعر:

ياصدمتي في أكثر الناس، وياخيبة ظنوني

ياضيق صدري لا ذكرت إني عليهم ماكذبت

ياطعنة خلتني أنسي من سابيها طعوني

ياجرح ماله طب حتي أقول اليوم طبت

البارحة والله يكون بعون أحاسيسي وعوني

أحاول أهرب من عمايلهم ولكن ماهربت

ماكنت أحس أنياناً أنا وهذا الكون كوني

أمر في حالة ضياع وشبة غيبوبة وكبت

أحباب أي أحباب ذول اللي علي جروحي خذوني

الظاهر شبت ياعالم وأنا ما بعد شبت

سألت نفسي هم يبوني صدق ولا مايبوني

سألت نفسي وليتني علي سؤالي ماأجبت

شعرت أن شبت وأنا مازلت شاب، فهذا السكين الذي يسكن في قلبي مجدداً، كان بيد من أحببتها، وقال الشاعر:

لقد تركتني حبيبتي ومقلتي

همول، وقلبي لا تفيق بلابله

تطاول هذا الليل حتي كأنما

إذا ما مضي تثني عليه أوائله

وإذا بشريط الفيديو يختصر لقطات في الجامعة، تجمعني بكل زملائي، ياهل تري ماذا فعلت الدنيا لهم؟ وقعوا في شباك متاهتها، أم نجوا؟ وإذ بي مجتهداً ومتفوقاً، أنسي جرحاً في القلب صابته من كنت يوماً أهواها،،،

ثم يتغير المشهد إلي المنزل، صوت الفرحة يعلوا في البيت، والجيران يدخلون ويخرحون يهنئون والدتي، بتخرجي من كلية التجارة، والأول علي الدفعة، وأنا في غرفتي، أهئ بدلة جديدة قد أشتريتها، فمن سيكون معيداً بالكلية غيري، فأنا الأول علي دفعتي، أيام من السعادة والسرور المتواصل في البيت، والخروجات الحرة مع الأصدقاء، فرحاً بالدكتور الجديد، ولكن هيهات بين الفرح أن يدوم في قلبي، فلربما يأتي إلي يشغل قلبي حرقتاً ويذهب بعيداً ليدخلني في متاهه جديدة، فزميل أخر لي من تم تعينه، لأن له نفوذ وسلطه، كنت أتمني أن أفوز بهذه الوظيفة المستحقة لي، كي أساعد والدتي علي متاعب الحياة، ولكن غزل لي القدر فخاً جديداً، وتسرب اليأس إلي قلبي، وسكنه، فما حياتي إلي متاهه كلما حللت

لغزها، دخلت إلي مرحلة جديدة فيها، أصعب ممن سبقتها من مراحل، مر شريط الذكريات سريعاً دون أن يوقف تشغيله محرك الدمي خاصتي، مر وهو يحمل كل مُر معه، فشاهدت نفسي في غرفتي أخطط ورقاً لا أعلم ماذا أخط به، سرحاً في حياتي ومستقبلي، من أنا؟ ماذا سأكون؟ ماذا تخبئ لي الحياة؟ دون أي إجابات....

وإذ فجأةً يعود الشريط سريعاً إلي الخلف، ماهذا؟ جميلة، لماذا أتت من جديد؟ فهي مرحلة من عمري ومضت، أو ربما لا، وأنا من أضحك علي نفسي، إذا بها تجلس أمامي في كافية، كنا إعتادنا الذهاب إليه، وتطلب مشروبها المفضل وهو الليمون"، وتلاعب شعرها المنسدل بأناملها، كم هي وغدة أشتقت إليها ! ربما عاد الشريط إليها، لأنها كانت سبب في نكستي وتعاستي، ربما بسببها ماكنت لأدخل هذه الكلية اللعينة، كان من الأفضل ألا اكون متفوقاً وما الفارق، فهناك من غيري له نفوذ تمكنه من الطير فوق السحاب إذا أراد، مازال الشريط واقفاً أمام أعينها ونظراتها الساحرة، هل علق في هذا المشهد؟ أم ربما محرك الدمي ومشغل هذا الفيديو يستمتع بألامي، لأ اكترث، فأنا أصبحت لا أتالم، تأكلي شعوري من سنوات، فكلما أنسكر قلبي، كلما أسرعت إلي هاويه الامبالاه، تبا للمتاهه التي أعيشها، كنت أخاف من الزمن، والآن أصبح هو

من يخاف مني، ليس لدي ما أخافه، وإذ بالشريط يعمل مرة أخري إلي الأمام مسرعاً ومتجاوزاً ذكريات كثيرة أحياها،،،

الوفاة الثانية،،،

كلما أقتربت أن أجد الطريق إلي نفسي ــ، حدث أمراً ما، يعود بي إلي الوراء خطوات وخطوات، فمازلت لا أنسي ــ أبي وأسرتنا الجميلة، وأختي التي تزوجت وســـافرت إلي الخليج، وجميلة التي كسرت فؤادي وهشـمته، حتي صـباح يومٍ خميس، وإذ كعادتي أطمئن علي والدتي قبل الخروج من المنزل،،، وفي هذه اللقطة أشـــتغل الفيديو، وكأنما جاء ليذكرني بكل المواجع والآلام، أطرق الباب علي والدتي، لم ترد، فتحت باب غرفتها ودخلت إليها، فوجدتها نائمة علي سجادة الصـلاة، ندهت إليها مرات، ثم شرعت في تحريكها، فلا تسـتجيب، وما إن لامسـت يدها فهي شـديدة البرودة، ثم أجري مسرعاً من غرفتها، أطير فوق درجات سـلالم البيت، لم تطئه قدمي من سرعتي، إلي طبيب يســـكن بالمنزل المجاور لنا، وإذا به يعود معي إلي البيت، ليصدمني أن والدتي قد فارقت الحياة، مرحلة جديدة من المتاهه ومســـتوي أعلي قد علقت به، توقف الوقت حينها، لا أدري ماذا أقول؟ ماذا أفعل؟ صمت ملئ بالصرـاخ، لماذا كل هذا الآلم الذي كتب عليا؟ أبي ثم أمي؟ أصحيح أنني ملعون ! لماذا يضحك القدر علي آلامي؟ أهناك

مغزي من ذلك؟ ثم يتوقف الشريط عن البث ويسود الصمت، وكأن من يشـــعله شـــعُر أخيراً بعاقبة مافعله أو أن ضميره أنبهُ، لحـــظـــات مـــن الصـــــمـــت الـــطـــويـــل..... ظننت أنني ســـأظل عالقاً هنا في متاهه جديدة لا أعرف نهايتها، وإذ بالشريـــيط يعمل من جديد، وإذ بي أجلس في صـــالة المنزل وحيداً بائساً عاطلاً أنظر إلي صور العائلة، وأتذكر أختي الوحيدة في غربتهـا، تعـاني مرار الدنيـا، فقـد دمُرت عـائلتهـا إلي فتـات، ووحدتها تزيد من آلامها، وإذ بي جالســـاً في غرفتي، أعتلي سريري، هائماً، تائهاً، وإذ بالشريط يعرض من جديد مشهد آخر.

البطالة...

أجلس علي إحدي المقاهي القريبة من منزلنا، مع أصدقاء لي، قد جمعنا الطموح والشغف، نخطط لمشاريع ويملئنا الأمل، نخطط كل يوم وتحيط بنا أكواب الشاي وفناجين القهوة، ودخان الشيشة يرسم هاله فوق رؤسنا، نسرح فيها، ونتخيل أنفسنا بعد سنوات،،،، ثم تغير المشد إلي شركة، وانا جالس بجانب بعض الأشخاص، نقدم علي وظيفة شاغرة بها، وتجلس هناك بعيداً سكرتيرة حسناء، قد عينت في الشركة فقط لجمالها، أما عني فقد زرت كل الشركات والمصانع تقريباً بحثاً عن وظيفة شاغرة، ولكن لم يكن لي نصيب، بعد كل المبشرات أنني مؤهلاً، ولكن حين

تدخل الوساطة، يتغير كل شئ،،،، تغير المشد إلي محل ملابس، وأنا أقف به، أعاني من الناس وحكاياتهم وشكواهم، طمعاً في عمل خصومات، وما أنا إلي آله في يد صاحب المحل، كحالي الآن طيف في يد من يحركني، دائماً مايشغلني القدر، بما لا أطيقه، ثم إنقطع البث، وإذ بي أطير المرة التي لا أحصي عددها، فكما قلت أنا دميه في يد من يحركها، وإذ بي أمام مسجد، لا أعلم لماذا؟ أشاهد الناس عن قرب، أري ملامحهم، وأصرخ دون أي جدوي أن يسمعني أحد، وإذ بشريط الفيديو، أطلق عليه صديقي هذه المرة، فهو تسليتي في هذا المكان، يعرض مشهد ليوم زفافي، وبجانبي زوجتي وأمامنا الحضور ويعلوا المشهد صوت الأغاني، أري غيبة الحضور لنا، وكلامهم بينهم البعض، وأري نظرات ابن خالة زوجتي لها، لم أكن قد رأيت هذا المشهد من قبل، ليست نظرات عادية ولا أخوة، ولكن يملأها الفقدان، فنظرت إلي أعينها وهي في الفيديو، يالها من وقحة، ويالي من أبله، تبادلة نفس النظرات، تأثرت قليلاً، أشكرك يامحرك الدمي، لربما تريد أن تريني ماقد فاتتني رؤيتة أو عميت عنه عيني! من الواضح أني أصبحت أستمتع بهذا الفيديو أو ربما بكوني طيف، لطالما حلمت أن يكون لي جناحين أطير بهما متي شئت، وإذ بالمشهد كله يتوقف، والسواد أحاط بي.....

وإذ بي أعاود الطيران لأعلي ثم لأعلي، فأنا الآن فوق السحاب، وإذ بشاشة كبيرة أمامي تعرض من جديد شريط حياتي البائسة،

ولكن هذه المرة أري أبي، وهو يصطحبني معه، لزيارة السيد البدوي، حيث كان المولد المقام من أجله، ويحملني فوق كتفيه، من شدة الزحام، وأنا في سعادة غامرة ليس لها وصف، وأمسك بيدي عيدان من القصب، أعصرها في فمي بأسنان وقتها كانت من فلوذ، وأتصبب قصباً يسيل علي رأس أبي، وهو ينظر إلي مبتسماً، ثم يتشري لي طربوش صنع من الورق، لارتديه علي رأسي، والآن قد أقترب موعد مغادرتنا، ولكنه متجهه إلي محل حلويات، ليشتري حمص وحلاوة ومشبك لنا وللأصدقاء، ثم يتغير المشد ليجري سريعاً بالزمن، وأنا مع زوجتي في شقتنا بعد الزواج، وإذا هي تستعرض جمالها، ربما تريد أن توصل لي رسالة بحسن إختيارها، ولكن هيهات بين جمال الروح وجمال الشكل، فيعلوا صوتها إذا ما رغبت في شئ دون إرادتي، حتي ينتهي النقاش بالصراخ الشديد.

السفر...

عاد بي الشريط إلي مكتب سفريات شهير أقف أمام أبوابه، في وسط البلد بالقاهرة، تلمع عيناي بطموح المسافرين، أتخيل متع الدنيا وسهولتها في الخارج، أدخل لأقدم أوراقي، وأنتظر مع من هم مثلي" الحالمون"، أتأملهم ويتأملوني، أشعر بهمساتهم، والكل يتمتم بشفتيه، وسؤال يدور علي الجميع، من منا هو الفائز؟ سرحت في الذكريات وأنا أشاهد.. كأنها كانت بالأمس، كنت أنا

المحظوظ، أنا سـعيد الحظ، الذي فاز بوظيفة محاسـب في دولة خليجية، ربما تخيلت أني سـأعود بالمال في حقائب، ملايين ليس لها حصر، سـأعوض عن خسـارتي، هزائمي، أحزاني، أو ربما سـأنسي كل الدنيا، وها هي الرحلة تبدأ... أمكث في المكاتب الحكومية لإنهاء أجراءات السـفر، أكثر من بيتي، أعد شـنطتي، ملابسي، أوراقي، صـورة تجمع بيني وأبي وأمي وأختي، أعيش علي ذكراها،،، وإذ بالشريط يتوقف ليبث من جديد مشـهد أخر، حيث أنا وجميلة في رحلة، جمعت بيننا، لا أنسي تفاصيلها وذكرها، إلي الإسـكندرية، حيث ملاهي السـندباد، أرها وهي تركب كل الألعاب الخطرة، وأنا أقف أنتظرها بالأسـفل، وتحاول ترغيبي في ركوبها سـوياً، ولكن لي ذكريات سـيئة معها،، نجلس سوياً نأكل، نضحك، وعيني لا تفارق عينها، أحبها، بل أعشقها، وأذوب فيها حين تتمايل ضفائرها، نغني سوياً وتربطنا أغنية بعضنا البعض،، وإذ بالشريط يغير هذا المشهد، ليعرض مشهد جديد، وهو رحلتي إلي الخليج، أمكث في الطائرة، مغمض العينين، لمن يكن هدفي السـفر إلي العمل، بل الهروب من ذكريات، لا يتحملها جبل، أتذكر أهلي، وناسي، وأختي التي تعيش في دولة أخري، وبيتنا الذي كان ينعم بالهدوء والسـكينة، ويملؤه الحب والدفئ، تذكرت حين كنت أسرق البطاطس المحمرة والكوفتة من أمي بعد تحميرها مباشرةً وهي تطردني وأختي من المطبخ، تذكرت

حين كنت أنام علي كنبة الصـــالة أشـــاهد التليفزيون، وحين أســتيقظ أجد نفسي- علي فراشي، كنت أظن أن عملاق يحملني إليه، ولكن مع الأيام عرفت أنه أبي، الذي كان يخشيـــ عليا أي تعب أو إرهاق،،، مازلت مغمض العينين، غارقاً في ذكرياتي، إلا أن أيقظتني مضـيفة الطائرة، لغرض ما، لا أتذكره ولم يعرضـه محرك الدمي،،، وإذ بالمشـــهد يتغير كالعـادة، وإذ بفرح أحـد أصـــدقائي أسمه أيمن، حيث يجتمع في قاعة الأفراح المطلة علي النيل، دفعة من الزملاء، لم أراهم من زمن،،، ســـلام حار دام طول الفرح بيننا، مع ســكون وهدوء، إنقلب إلي ثورة رقص مع تشـغيل الأغاني، وقدوم العروسـين، ولكن كان يشـغل بالي وقتها قريبة للعروسـة، تلبس فسـتان طويل، فائقة الجمال، لا إدري إن كان بسـبب الميك أب أم هو طبيعي، ولكنها في كل الأحوال من شدته جمالها وحيائها، لو رأها أبو الهول لتحرك من مكانه، مازلت أنظر إليها، حديث مستمر بين أصدقاء الدفعة، لا أسمع منه شئ، فقد سرقت كل حواسي، وإذ بالمشـــد بتغير من جديد،،، وأنا أخدم في الجيش، أقف في طابور السـاعة العاشرة صـبحاً، ويعلم هذا الطابور من خدم بالقوات المسلحة، حرارة الشمس في شهر يونيو، تخترق الأفارول وتحرق الجلد، أصـــبحت مثل الأفارقة، توزع المهمات علي الجنود، وها أنا أقف خدمة علي مخزن الذخيرة، القريب من الكانتين، ثم أري الكل يجري إليه مسرعاً، ياتري ماذا

يحدث بالداخل؟ هل هناك أمراً هام؟ وإذ بأحد الزملاء يخبرني أنه التليفزيون يعرض فيلماً جديد، وإذ بالشريط يأخذني جولة داخل وحدتي التي خدمت فيها عام، وزملاء الكفاح والقادة، والصف، كم كنت أظن أنه لن يمر هذا العام؟ ولكنه مر مرور الكرام، له ماله، وعليه ماعليه، وإذ بي فرحاً بإستيلام شهادتي، لقد حصلت علي حريتي أخيراً، هذا هو شعوري أنذاك، وإذ بي أنام علي فراشي في منزلي متي شئت، وكيفما شئت، دون الحاجة إلي طوابير، كنت أظن كذلك، فالحياة ماهي إلا طوابير تليها طوابير، وإذ بالشريط يرجع بالذكريات إلي مرحلة الإعدادية، وأصدقاء الطفولة، وشجرة التوت، أعتليها كما تعتليها القرود، نلتقط ثمارها اللذيذة، ننظر إلي بعضنا البعض، ثم ندخل في نوبة ضحك، نهرب من دروسنا إلي وكر به ألعاب صنعت من الطبيعة، نجلس علي الأشجار، نلعب الكرة، نأكل الدرة، يالها من أيام، ويالياتها أستمرت، ولكننا خلقنا في متاهه، لم تستمر أيامنا وأوقتنا السعيدة، أري أحد أصدقائي المقربين، تراهن علي أنه يستطيع أن يعبر ترعة في أطراف البلد، دون أن يرفع رأسه ولو لمرة، وإذ به يغطس دون أن يخرج، إلا بعد أيام جثة، فلقد جرفته المياة إلي مكان بعيد، لم تفصح عن جسدة الضئيل إلا بعد أيام، أشعر بالآسي والحزن، ربما كانت تخبرنا الحياة بالمصير المحتوم لنا، ولكننا كنا لا نعي، كنا نعلم أن الكبار من يموتون، ولكنه مؤشر

جديد لنا، أنه لا سن للموت، سار بث الفيديو بطريقة إعتيادية، يعرض هذه المرحلة من العمر، من مدرسة، ودروس، ولعب، ولكنه لم يبخل عليَّ في إيضاح ملامح مدرسين، كنت قد نسيت ملامحهم، وزملاء لي لا أعرف عنهم أي شئ من سنوات أو بالأدق مع نهاية المرحلة الإعدادية، وإذ بالشريط يستعرض مرحلة جديدة ولكن قديمة جداً، قد أكون لا أتذكر سوي شئ بسيط منها، أردد كلام الله خلف شئ في مكان يسمي بالكُتاب، نجلس علي حصير من الخوص، والشيخ أمامنا يتكئ علي مسند من بواقي القماش داخل شيكارة بلاستيكية، كانت أنذاك أنعم من الحرير، نرتاد الكُتاب يومياً، لحفظ القرآن ومراجعته، أيام كانت أشبه بعضها البعض، سوا مبلغ ضخم جداً شهرياً مكافئة وهو خمس جنيهات، لمن حفظ وسمع أمام الشيخ دون أخطاء، كنا صغار لا نخشي المستقبل، ولا نعرف ماينتظرنا، وإذ بالشريط يتوقف من جديد، ربما مل محرك الدمي مني أساساً،،، وإذ بي أرفرف في السماء دون توقف، ولكن هذه المرة، أطول، ثم أجد نفسي في مستشفي، أتجول بين طرقاتها، أدخل دون إذن، إينما شئت، ولكن فضولي كطيف، جعلني أفكر في زيارة العمليات، لطالما أحببت أن أري الطبيب وهو يقوم بإجراء عملية، أتجول بين الطبيب والممرضين، دون تعقيم أو ملابس خاصة، ولكني أري فزعة في هذه الغرفة، ياتري من يكون هذا

البأس؟ من ســـيفارق الحياة بعد دقائق؟ من يلتف حوله كل هؤلاء الأطباء والأجهزة؟

من؟؟؟؟ أنا !!!! كيف؟؟؟؟؟ ماذا حدث؟؟؟ لا أتذكر شئ!!! أنا كنت في الكُتاب، لا لا لا، كنت في المدرسة الإعدادية، لا لا لا، كنت أركب طيارة مسافراً، لا لا لا، كنت مع أبي وأمي في البيت، لا لا لا، لا أعرف... لا أعرف، ساد الصمت.....

هل من المعقول أن كل هذا كابوس؟ أضرب نفسي كي أستيقظ، لافائدة، فربما أنا من عالم آخر غير البشر، وكل هذا تخاطر مع هذا الميت أمامي، لا أظن ذلك أيضاً، لحظة... هذه خالتي وتمسك بيد أختي، ويبكيان، أراهم بأم عيني، يصرخون بأسم إبراهيم، إذا أنا هذا الميت، أنا إبراهيم، ربما أنا طيف الآن، لأنني ميت، سمعناً كثيراً عن الميت نتيجة حادث يكون له عفريت، هل أنا عفريته؟ لحظة.... قولت حادث، تذكرت، أنا كنت أقود سيارتي حزيناً، هائماً، تائهاً، أنا هو بالفعل، أنا الميت، أنا أبراهيم، أناديهم بأسمائهم، أحاول ملامسة أختي وخالتي، لكن دون جدوي، مللت، ويأست، وربنا سرحت، هل سينتهي طيفي مع دفني؟ أم أنني سأعلق هنا في هذه المستشفي؟ تراجعت إلي ركن في هذه الغرفة الملعونة، ياليتني لم أدخلها؟ ياليت فضولي لم يقودني؟ وماهي إلا لحظات، وإذ بي من جديد، أهفو بجانب الطيور في السماء، أدركت

أنني مت، فقررت الأستمتاع، وإذ بي أهبط من جديد، داخل صالة الإنتظار في المطار، والشريط يعرض من جديد، كأنه بث مباشر، لرحلتي في دولة الكويت، الرؤية هذه المرة أوضح، والتفاصيل أكثر دقة، أنزل من المطار لأجد من هو مسؤل عني، ويأخذني معه في سيارته التويوتا، نذهب إلي مطعم، لتناول الفطور، فقد وصلت الكويت الساعة السابعة من صباح يوم الأربعاء، فذهبنا إلي مطعم مصري، حيث الفول والفلافل الساخنة، لطالما هربت منهم، ولكني غالباً مطارد منهم، وإذ بالعمال جميعهم مصريين، فجأة قال لهم من هو مسؤل عني وكان حسين من مصر القديمة، أنني قدمت من ساعات " لسه فرش" بمصطلح المغتربين، وإذ بنظراتهم إلي، تليها تمتمه، لم أفهمها وقتها، ثم خرجنا ليصطحبني إلي سكني، حيث أضع حقائبي، وأرتاح، من السفر، وقد اتفقنا أنه سيمر علي ليلاً، ليتحدث معي عن البلد، وطبيعة العمل، ومقر الشركة، وغيرها من أمور، دخلت إلي سكني، فوجدت شقة يسكنها أكثر من خمسة عشر أخرون، ماهذا؟ لقد أعتدت السكن بمفردي، أهذا سجن جديد؟ أو ربما شقة في متاهه، وسأجتهد في عملي، كي أحل لغزها، وأسكن بمفردي، لا أعرف، ولا أريد أن أعرف حالياً، سوي السرير، وما إن وضعت جسدي عليه، حتي غرقت في النوم،،، وإذ بالشريط يعرض من جديد ذكريات آخري، أبنتي بدر، يوم ولادتها، وأنا أقف أمام غرفة

العمليات، أتصبب عرقاً، أتلهف الأخبار من التمريض، وأسترق السمع من الباب، وإذ بعاملة تزف إلي خبر، مولودة كالبدر في ليلة التمام، لذا أسميتها بدر، جاءت الممرضة بالقرب مني، تبارك لي وتحملها، وطمأنتني علي نورهان، زوجتي، وأخبرتني كيف أحملها، وما إن أحسنت حملها، إستأذنت الممرضة لترحل، وإذ بي أحمل بين يدي، قطعة من قلبي، أهيم في وجهها، دون حديث، أذنت في أذنها اليمني، والشهادة في اليسري، ومشيت بيها إلي الغرفة حيث أخرجوها إلي هناك، لم تكن فاقت بعد من تأثير البينج، تملكني شعور، لا أعرف كيف أوصفه؟ فرحه بقلبي ونبضي، وحزن علي عدم وجود أبي وأمي معي، ليفرحوا بحفيدتهم، ولكن قدر الله فوق كل شئ، كنت أشاهد كل هذه الذكريات وأنا طيف أو عفريت أو مهما كان وصفي، ولكني سكت، وطال السكوت، فلهذا الموقف رهبة تمتزج بالفرح، وإذ بالشريط يتجاوز ذكريات كثيرة، ويبث من جديد، رحلة البحث عن وظيفة، حيث كنت جالساً علي نفس القهوة، وإذ بصديقي أحمد يقدم لي، دراسة جدوي لمشروع إعادة تصنيع البلاستيك، فأستمعت له، فليست أول فكرة تطرأ علي أذهاننا، مئات بل ألاف المشاريع والخطط، ولكنه أقنعني، وكانت فكرتها، تأجير مخزن، ونشتري آله، تقوم بتكسير البلاستيك، وعلب الصفيح، وشرعنا في كل هذا، بعد إتفاقنا مع أكثر من عامل من عمال الشوارع، وكانت نهاية البطالة، كما كنت أظن،،،،،

" الحياة متاهه وكلها ألغاز، وكل ماتحل لغز،
تكتشف أنك كنت لسه في أول مرحلة منها،
ولسه ليفيل الوحش "

" أوعي تكون سجين أفكارك، لأنها أخطر عليك
من أخوك الناس "

" ياتري توصلتوا في حياتكم ولا لسه؟ "

سرعان ماتبخر الحلم وأختفي، وظهر في السوق حوت يأكل من هو أمامه، ولأننا كنا لقمة سهلة الهضم له، لم نتحمل أن نستمر أمام قوته الضاريه، ومارجناه، خسرنا أضعافه، ورجعت مرة آخري إلي المقهي، أنظر في وجوه المارة، أتاملهم، ولكني سارحاً من داخلي، فما هو مصيري؟ وإذ بالشريط يعود بي إلي سنوات، وأنا أصبحت أستمتع بهذه السينما ذات الذاكرة القوية، وإذ بي أركب عجلتي دون سنادات، فمن أمتلك عجلة في عمري، فهو من أصحاب المواريث، كان لها هيبة وشأن، أجول بها ليلاً نهاراً، لا أتذكر متي أكلت؟ وإذ بي أتسابق مع أصحابي، من يسيطع أن يصل إلي نهاية الشارع اولاً؟ ومن حسن حظي، فالمصائب لها حظوظ، وتختار من توانسه، إذ بسيارة تخرج فجاة من الشارع المقاطع، للشارع الذي أسير فيه، وتدهس عجلتي، وعظمي، وتفر مسرعةً، ولكن هناك من حملني علي كتفية، إلي مستشفي قريبة، حتي علم والدي، وجاء إلي، أصابتني كسور في يدي وقدمي، ولكن ليس بقدر الكسر الذي أصاب قلبي، نتيجة تحطيم العجلة، فما أنا إلا موعود، ولكن بالإنكسارات الظاهرة والباطنة، أنا من جئت إلي الدنيا، كي تنتقم من البشر فيه،" أنا من جئت في لفة، ولفيت في الدنيا كام لفة، وأديني فالمستشفي مستني تاني لفة، وياتري هكون في أنهي كفة؟ توقفت السينما عن البث مؤقتاً، ربما لعطل فيها، أردد هذا، وأضحك.

" ذاكرة الأنسان ديماً بتتلسي عليه، بتجلد ذاته، بتقلبه علي الجنبين، بتخليه يتفكر كل تفاصيل أحزانه، تحس أنه بتفرح فيه "

أصبحت لدي خبرة في مجال العفاريت، أو كما يسمونني، ولكن أحب أن أصف نفسي بالطيف، أخف علي الأذن، من سابقتها، وأصبحت أستطيع التحكم بحركتي، ربما تحررت من محرك الدمي خاصتي، أو حصلت علي صك بحريتي منه، وبما أني أستطيع أختيار إلي أين أذهب، فا أنا أحب القطارات، ذهبت إلي رصيف المحطة، أنتظر القطار، أو ربما هو من ينتظرني ! ركبت العربة، وجلست بجانب الباب، لربماً أشعر ببرودة الهواء، أنظر إلي الناس من حولي، وطالماً كنت أحب أن أركب القطار، وأنظر إلي من فيه، وأعيش قصصهم وأحلامهم، وأحياناً آلامهم، إختلاف لهجاتهم، ملابسهم، أفكارهم، أعيش داخل شخصياتهم، ولكن تجربتي هذه المرة، تختلف، فأنا الآن لن يشعر بي أحد، حتي لو كنت أقف أمام فمه، ستكون الأحلام بحريه، والآلام بقسوتها، والفضائح دون ستر، جلست بجانب فتاتين في المرحلة الجامعية، يتهامسن بينهم، فتاة منهم تبكي، وترتدي بنطال طويل، وقميص واسع، وطرحة تغطي نصف شعرها، والآخري ترتدي فستان طويل، بأكمام واسعة، وليست محجبة،،، دار الحوار بينهم علي النحو التالي:

انتي بتعيطي ليه دلوقتي ياسارة؟ إهدي بس وكل حاجة هتعدي.

- هو إيه ال هيعدي ياهدي، بقولك الكلب طلع بيلعب بيا.

ياسارة منا قولتلك ألف مرة،دا بيلف علي بنات الدفعة كلهم

- أعمل ايه؟ حبيته، وهو ولا يستاهل أي حاجة، دنا حتي كنت بصرف عليه النتن.

شوفتي ياسارة، يبقي ال زي دا ميتبكاش عليه، يغور، وكويس أنك عرفتي من دلوقتي، أهدي كده، عشان المحطة قربتك، ومينفعش حد يشوفك كده.

قاطعهم صوت من أخر العربة، لرجل في الخمسينات، يتحدث بصوت أجش، يغلب عليه الضيق والنرفزة، ففرت إليه، مستعماً إلي فضولي، حيث كان يتحدث مع زوجته علي الأغلب، قائلاً:

أنا الغلطان، أنا أستاهل ضرب الجزمة، أن خليت الواد يسافر اروبا، علي مركب، كان عقلي فين بس ياناس؟

- أهدي بس ياأبو محمد، إن شاء الله يكون وصل بالسلامة، وميكنش..... " عياط دون توقف"

السمسار ابن الكلب لهف الفلوس، وضيع العيال، ياتري كام واحد عايش، وكام واحد مات، خيبيير، تعدي بس، وربنا ماهسيبه

- بكاااااء دون أي حديث

أهدي يام محمد، إنا لله وإنا إليه راجعون، ربنا كريم، وإن شاء الله يكون وصل

- ماهو لو كان لقي شغل هنا، مكنش سافر، ولو كنت بعت الطين، وادتله الفلوس، يجيب توكتوك، كان زمانه وسطنا

ياولية، أنا اترجيته، يقعد هنا، هو ال كان عاوز يسافر زي زمايلة، ال بيكلموه عالزفت ال اسمه نت دا، الواد شاف بره ، اتجنن

- برضو كنت تعقله، تمنعه، مش تساعده يمشي، مش أنت أبوه

أنزعج أبو محمد من حديث زوجته، وإلقاء اللوم عليه، حتي تشاجر معاها، ولكن جذب إنتباهي سيدة تجلس بمفرها، صامته، تشاهد كل هذا، ولا تتحدث، ولم يتغير وجهها، ماذا بها؟ فيما تفكر؟ أقتربت منها، فإذا بها تضع التليفون أسفل طرحتها، هناك شخص علي الطرف الأخر يحدثها، ولكن لماذا لا ترد عليه حتي؟ أشعلت فضولي، فقتربت، لأسمع، زوجها علي الخط، قائلاً:

بقولك إيه يمنال، كفاية لحد كده، من يوم ماعرفتك واتجوزت، وانت وش فقر عليه، كان عندي ورشة، وقفلتها، جبت تاكسي،

وأول يوم رخصة أتسحبت، حتي العيل ال نفسي فيه، مجبتهوش، عمال أعلف فيكي عالفاضي، مفيش فايدة، وصحيح أنا هتجوز صاحبتك، لقينا بعض، ست بشوشه كده، وبتضحك، مش زيك قفل، أنا راجل عاوز أدلع وأفرفش، مبحبش النكد، وكمان هي عندها رامي، يعني ست ولاده، هتجبلي العيل ال نفسي فيه، فلو سمحت، كل حاجة تخلص كده بالهداوة، وتروحي علي بيت أهلك، وهبعتلك ورقتك مع شنطتك، سلام.
قفل الخط من هنا، ومنال مازالت صامتة، لا تتكلم، لا تعبر عن حالها، حتي بالصراخ، البكاء، ولكن فجأة وقفت، لا أعلم، ربما تحب أن تتمشي حينما تحزن، ولكنها أقتربت من باب القطار، وألقت بنفسها، والقطار مستمراً في طريقة،،، ماهذا؟ أيمكن للطيف أن يبكي؟ أري الدموع تنهال علي خدي، حزناً عليها، ما أقبحك أيها القذر؟ أتمني أن ألقاك، لأجعلك تلقي مصيرها، ولكن أنا أساساً لا أعلم ماهو مصيري، فغلبني الصمت والسكون،،، ثم قررت أن أترك هذه العربة، وأذهب إلي عربة آخري،،،، جلست فيها أنظر إلي أشخاص أخري، فجذب إنتباهي، أولاد في عمر المراهقة، وكانوا ثلاثة، يرتدون ملابس نادي درجة تانية، يملؤهم الحماس، فذهبت إليهم مستمعاً، ماذا يقولون؟

أحمد: الماتش دا كان جامد يجماعة، حطينا عليهم والله.

محمد: يابني دا بالنسبالنا تدريب، أومال بقي لما نلاعب فريق جامد.

يوسف: جتكم واكسة، طول الماتش مشاليل، وخلص بضربات الجزاء، ولولا الواد أيمن بيقف جون حلو، كان زمانا لابسين منهم يجي عشرة أساساً.

محمد: دا ال أنا بتكلم فيه، لو بنلاعب الأهلي بقي كنا روحنا، خمسين صفر، ولا ايه؟

أحمد: أنا أصلاً يجماعة، مش هكمل في النادي دا، هشوف سمسار حلو، ياخد قرشين، ويوديني الزمالك، حلم حياتي.

يوسف: هتعمل ايه هناك؟ عويل هنا عويل هناك هههههههه

محمد: روح شوف نفسك يامشلول، بطة بتجري في الملعب

أحمد: أيه دا؟ أنتو بتتلسوا عليه ولا ايه ياجزمة أنت وهو!

بكرة تشوفوني وأنا لابس تي شرت الزمالك، وتمني تتصوروا معايا ياكلاب

يوسف، ومحمد: عادي أخرك تلبس تي شرت الزمالك بتاعك ال الدولاب، انما نادي الزمالك نفسه، موووت ياحمار هههههه

جذب إنتباهي بكاء طفل، فتجولت في القطار، ذاهباً إليه، ما أجمل أن تكون خفي، لا يراك أحد؟ لم يتجاوز العشر سنوات، وبجانبه سيده، تحاول أن تهدأ من روعته، قائله:

مالك ياحبيبي، بتعيط ليه؟

- مفيش

لا بجد مالك في ايه؟ طب أسمك ايه؟

- مصطفي

مالك بقي يامصطفي؟

- جعان

طب فين باباك، ومامتك؟

- أبويا وأمي منفصلين، وكل واحد فيهم متجوز، أروح لابويا، يقولي روح لأمك، أروح لأمي، جوزها يطردني، وهي تقولي روح لأبوك.

طب عايش مع مين؟

- كنت عايش مع ستي، بس ماتت

لاحول ولا قوة إلا بالله، الله يرحمها، طب راكب القطر ورايح علي فين ؟

- مش عارف ؟ زي مايروح ؟

طب أنت كام سنة ؟

- عندي تسع سنين

طب كنت في مدرسة ولا لا ؟

- خرجت من سنة أولي، عشان أبويا مبيدفعليش فلوس أروح المدرسة، ولا أمي، هما اتطلقوا من وانا لسه في أولي إبتدائي

لم أستطع أن أستمع إلي باقي هذا الحوار الصادم، يالها من جريمة، لا بد وأن يسن قانون، يجرم الأب والأم، وأن يحتوي هذا الطفل، بدلاً من أن ينتهي به المطاف، إلي طفل شارع، ولكني تابعت من بعيد هذه السيده، التي أحضرت له بسكوت وشاي ومياة من بائع جوال داخل القطار، وسرحت في نفسي، كم أن هذه الحياة ظالمة ؟ تتغير في لحظة، فهذا الطفل، الذي حُرم من طفولتة، كان بالقريب العاجل، يعيش في بيت وليس في شارع، ينهام علي فراشة، يذهب إلي مدرسة، قضي والديه عليه، وعلي طفولته، وعلي مستقبله، لماذا ينجبون أبناء، وهم غير آدميين ؟

ياليت هناك قانو يمنع الزواج إلا بدورات صحة نفسية، للتأكد من سلامة الزوجية نفسياً، فبفعل هذا الوالد القذر وطليقته النتنه، أنجبنا للمجتمع، مجرم مستقبلي، لن يشعر بأحد، لأن أقرب الأقربين لم يشعروا به،،، مللت من هذه العربة، وقررت الذهاب إلي عربة مكيفة، حيث قصص جديدة، بطابع مختلف، يطفوا عليه الرفاهية. الرائحة العطرة

تملأ العربة، فالجو الرطب نتيجة التكيف، تحافظ علي إنتشار رائعة العطور، أري رجلاً مهندماً، يرتدي بدلة غالية، فجرني ماأنتم تعلمونه " فضولي" إليه، أستمع إلي حديثه، فهو يتحدث إلي من بجواره، الذي يرتدي بدلة أقل في الفخامة:

بص يامحمد، النهاردة الجلسة أتاجلت، ودا في حد ذاته في صالحنا، عايزك بكرة تجهزلي كل الورق وشهود النفي، عشان نخلص القضية دي.

- حاضر يامحمود بيه، هروح أسهر علي المذكرة النهاردة، وهخلصها بإذن الله، وبالنسبة معاليك، لقضية النفقة بتاع كوثر هانم، هنعمل فيها إيه؟

هنستني يامحمد نشوف، الدايرة الجديدة ال جت، اتجاها إيه؟

- في حد أتصل علي معاليك، في الجلسة، وانا طلعت كلمته برة، بيقول أنه عاوز يجي لحضرتك، عشان أخوه متهم في قضية قتل.

أديله ميعاد يامحمد بعد بكرة، عشان أنا هريح بكرة، هاخد العيال ونروح النادي.

- حاضر معاليك، معلش ياريس عاوز أسال حضرتك سؤال؟

أرغي محمد، أهي نقصاك سفر وجلسة وقاضي رغاي، جت عليك

- الراجل بتاع قضية القتل دا، لو طلع أخوه قاتل فعلاً هنعمل ايه؟

يعني إيه هنعمل ايه؟ هنشوف شغلنا يامحمد، ال بتقبض منه أنت وغيرك، بدل هيدفعوا فلوس، همسك القضية، ونحاول ندور علي ثغرة، أو نخفف الحكم، أنت لسه هتتعلم، ولا أيه؟

- تمام ياريس، بنستفيد منك برضو

يابني كل متهم، ولازم يبقي له دفاع، حتي لو جاسوس

- جاسوس!

أومال أنت مفكر ايه؟ ولا أنت محامي أزاي؟ بقولك ايه؟ أسكت عاوز انام علي مانوصل

- حاضر ياريس.

نام محمود بيه، ووجدت متعتي في شخص أخر يتحدث في التليفون، يظهر عليه الفرح، فأقتربت منه :

أيوة ياحبيبتي، خلاص أشتريت الشقة ال عجباكي في إسكندرية

- بجد ياسعيد؟

اه والله، وعقدها في جيبي أهو

- ياعيال أبوكم، أشتري شقة في إسكندرية ، عشان تبقوا تصيفوا فيها براحتكم، ربنا يخليك لينا يارب.

ويباركلي فيكم ياست الستات، بقولك صحيح، أختك أسماء عملت ايه؟

- جابت 98 فالمية، وعاوزة تخش طب، ربنا يسعدها ويهنيها يارب

ربنا يوفقها البت دي، طول عمرها مجتهدة، وجدعة، ابقي خليها تجهز شنطها، وانت كمان والعيال، عشان تيجيوا تقعدوايومين هنا، الهوا يرد الروح

- ربنا يخليك لينا يارب، ديماً كده سند وضهر لينا..

سرحت في طباع هذا الرجل، الذي يستمتع براحه أسرته، وتحمله مسؤليتهم، وبين هذا الخنزير، الذي ترك ابنه، ضالاً في الشوارع، يبحث عن ملجأ له، جائعاً، خائفاً، عجيبة الدنيا، فيها كل الأصناف، وتدور بكل الطرق، ولا يفهمها أحد،،،،،،، شعرت بالتعب، فمن حق الطيف أن يتعب، فجلست علي مقعد كي أرتاح، وماهي الإ لحظات، وغالباً محرك الدمي، تذكرني، فأراد أن يطمئن عليَ، فوجدت شاشة أمامي، غالباً لا يراها أحداً غيري، وبدأ شريط الذكريات من جديد، في عرض فيلم من ذكرياتي، كنت هادئ، ربما كنت أفكر، لماذا لا يوجد بائع فشار، وإذ بالمشد المعروض، يعود بي، إلي الكويت، وأنا أعمل في شركة مقاولات كبري، كمحاسب في أحد فروعها، مجتهداً، وكنت متميزاً، وهذا ماكان يثير الضجر في نفوس بعض الزملاء، فأنا أحدث منهم، وقد نلت مكانه من مدير الفرع، لم ينالوها، ولهم سنوات بهذا الفرع، زاد مرتبي، غيرت سكني، أشتريت سيارة، وتم ترقيتي إلي مدير حسابات الشركة، فرحة عارمة تعتريني، وتسعد بها أختي حين سماع هذه الأخبار عني، ومع هذه الترقية زاد راتبي بجانب الحوافز، فأصبحت أدخر جيداً منه، كي أشتري شقة جديدة، فمن حقي الزواج، كباقي البشر، ومن حقي أن يكون لي أولاد يحملون أسمي، أحلام كثيرة، طمحت في تحقيقها وأجتهدت علي ذلك، ولكن مع

كل هذا النجاح، كانت نار الغيرة تشتغل في فؤاد أحد زملائي، الذي كان حسوداً حقوداً لدوداً، كنت أتوقع منه أن يسبب لي مشاكل في عملي، لكن لم أكن أتصور أن يذهب به الحقد إلي أبعد من ذلك،،،،،،،،،،،، وإذ بالفيديو يتوقف، وأعاود تركيزي، فإذا أنا مازلت بالقطار، لم أطير كما كان بالسابق، ولم يتحكم في محرك الدمي، وهذا في حد ذاته تطور، لم أعهده من قبل، ربما أصبحت محترف في هذه الهيئة الجديدة، والآن أستمتع مرة أخري بمتعتي " الفضول "، وأنظر من سأجلس بجانبه الآن وأستمع إليه؟ من يكون هذا الشخص؟ يتحدث منذ فترة، مع من حوله، وينصتون إليه؟ قائلاً:

أنتو عارفين يجماعة إسرائيل دي من ال بيتحكم فيها، أوعي تفتكروا أمريكا، هي كمان لعبة، كل الدول لعبة، بس في لعبة صغيرة ولعبة كبيرة، يعني إسرائيل زرعتها انجلترا في فلسطين مش حباً فيهم، بالعكس مش طايقينهم، وياما أتحايل الخنزير بتاعهم هرتزل علي سلطان المسلمين عبد الحميد الثاني، أنه ياخد جزء من فلسطين، ويدفعوا أي مقابل، لكنه كان دكر بيفهم، أمريكا بقي بتاخد أوامر أنها تدلع إسرائيل فتدلعها، طب بتاخدها منين، من ناس بيحكموا العالم، وفيهم صهاينة طبعاً، أصل ولاد الكلب دول، معاهم فلوس ملهاش أخر، والإعلام تحت رجليهم، وهما عاملين مخطط وماشين عليه، الدور والباقي علينا أحنا، بنقطع في بعض علي الفاضي، وهما

قاعدين بيتفرجوا علينا، عشان يقسموا التورته بعدين، طب أنتو عارفين أن الخنازير دول لما كانوا بيدخلوا فلسطين زمان، كان بيدخلوها بجواز سفر فلسطيني، يعني داخلين زوار، بلطجوا عليهم، العيب علي العرب، ال مشغولين بس بالموضة والبترول والدهب والنسوان، حاجة تعر، طب زمان كانوا المسلمين غير، كانوا علي حق، عشان كده سيدنا عمر بن الخطاب فتح القدس، دلوقتي فين المسلمين، ولا ولا تفرقهم عن الكفره، يلا ربنا يرحمنا. جذبني حديث الراجل دا، خصوصاً أن حديثة صحيح، فربما يكون سياسي، أو طالب جامعي، أو شخص مثقف يعشق التاريخ، فكلمته واقعية ومنطقية، وقيل زمان حكمة تفيد أن في الإتحاد قوة، والتفرق ضعف، ولكننا إتحدنا علي الخيبة، ثم أكمل هذا الرجل حديثة، قائلاً:

طب انتو عارفين يعني إيه ماسونية، هي أساس كل البلاوي دي، أباحة، شذوذ، أمراض، زلازل، حروب، كله كله، بس عالأقل هما صراحا، قالوا عاوزين مليار ذهبي، وبيحققوا كده، عارفين هما عاوزين ايه، مش زينا، تاهين، فاقدين الهوية،،، تعجبني كلمات هذا الرجل، فقد أجاز وأوجز قولاً، وإذ بمن هو ينادي في داخلي، أستعد، ويضحك، ها ها ها ها، من هذا الحقير، الذي أختلس، أفكاري، وإذ بشريط الفيديو يعمل من جديد، علي ذكري لي، أثناء عملي في الكويت، حين أستيقظت في يوماً، من نومي،

أتصبب عرقاً، لا أتحمل سككيناً تقطع في بطني، وقد أقترب أذان الفجر، وما إن سمعته، إذ بي أصرخ، أسب، ألعن كل شئ، وما إن إنتهي المؤذن... هدأت، وإذ بي أغرق في نومي، دون أي شعور، لأستيقظ بعد صلاة المغرب، مدة طويلة، لم يسبق لي نومها، وغبت عن العمل، دون أي عذر أو تبرير، مئات الرنات علي هاتفي، دون رغبتي إلي الرد علي أحد، ليس لي رغبة لأتحدث مع أحد، ولا أن آكل، بالرغم أنني لم أتناول أي شئ من أمس، ظننت في البداية أن شئ ما أصاب معدتي، ربما هو مايغير حالتي المزاجية، فتناولت حبوب للمعدة، وشربت ينسون، كي تهدأ معدتي، وما إن حاولت النوم، إذ بأحد يدفعني من علي الفراش، ظننت أنني أهزي، بسبب المرض، ففرشت ملائة علي الكنبة أمام التليفزيون، وغرقت في النوم، وإذ من جديد يتوقف، بث الفيديو، لأجد نفسي مازلت داخل عربة القطار، أرحت ضهري قليلاً، ويالها من ميزة أن يشعر الطيف بتعب مثل البشر، ثم هدأت من نفسي، وأقبلت إلي العربة أتفقد الناس، لأري من هو متعتي القادمة، قبل ما يصل القطار إلي محطته الأخيرة، وإذ بي أكتشف شئ جديد، متميز في هيئتي الجديدة، أنني أستطيع أن أسمع الأفكار، موهبة جديدة، لم أكن أعرفها من قبل، فحينما كنت أمر بجانب فتاة، أبحث عن متعتي القادمة، لم أكن أنتبه لها، لأنها بفردها، ولا تتحدث في هاتفها المحمول، وإذ بي أسم مايدور في عقلها من

نقاش حاد، يقول:

أنا أيه خلاني أسيب ال بيحبني؟ ليه بعته بالرخيص؟ ليه قبلت بالجواز من علي، أنا كنت أنانية، بصيت علي نفسي بس، وفلوس علي، ال هسافر معاه، وعنده شقه، أنا كل يوم عشته معاه، كان بسنة، ضرب وشتيمة وأهانة كل يوم، وأنا لوحدي برة مليش حد اروحلة، ولا جمبي بيت أبويا أغضب فيه، بعت ال أشتراني، وأشتغل أكتر من شغلانه عشاني، وأشتريت الفلوس، ال مجابتليش غير الكافية، راجل مقرف، وحما زبالة، بيتعاملوا معايا، أني سلعة شاريني، طب ما دي الحقيقة، ماهو أشتراني بفلوسه، وفالأخر، لما وقفت في وشة عشان خيانته ليا، طلقتي، يااااه، دنا وحشة أوي، ولا جايز أستاهل ال حصل فيها؟ ودا ذنب ال حبني وبعته، الناس كلها شايفه أنه مهنيني، مع أنه بخيل ونتن، يحب بس يتمنظر أدام الناس، عشان يقولو، يابختها،،،،،،، سرحت في كلامها، كسرت قلب من عشقها، تمني لها السعادة، باعته مقابل الملل، وها هي الأيام تدور، عليها، أسكنت قلبه حزناً وغماً وأدخلته في متاهه الفراق، وها هي الآن تعيش تائه، وستعيش تبحث عن نفسها وذاتها كثيراً وكثيراً،،،،،،،،،، رغبت في إستعمال موهبتي الجديدة، لإقترب من الناس، لأسمع بماذا يفكرون؟ يالها من نعمة، أن تعرف مافي عقل من أمامك، وإذ بي، أقترب من شاب وفتاة، يمسكون بأنامل بعضهم البعض،

ويظهر من وضع رأسها علي كتفه، أنها مغفلة، أقصد عاشقة جديدة، فكان لسماع أفكارهم متعة، أنتظرها، وإذ بي أسمع:
الولد: البت دي بطل، نفسي أخدها الشقة عندي واخربها

البنت: بحبه أوي ونفسي أعيش معاه طول عمري، بس ياتري هيخطبني، ولا لا؟

الولد: أهو الواحد يعيشله يومين معاها، يدلع، يقفش قرشين، نشوف مصلحة غيرها

البنت: طيب هيجي يتقدملي أمتي؟ ولما يجي ألبس ايه وقتها؟

الولد: يارب بس البت سعاد، مترنش عليا وانا مع وفاء

البنت: هو حلفلي أنه أول مرة يخرج مع واحدة، وأول مرة يمسك أيد واحدة

لم أرغب في أستماع باقي هذا الحوار، الذي جمع بين ذئب بشري، يسعي لتدمر براءة غزالة، يرغب في نهش عرضها ومالها، ثم يلوذ بالفرار، بحثاً عن غزالة أخري، تاركً إياها تغرق في متاهه، لن تقدر عليها، ويالها من حمقاء، يسيطر عليها الحب وعاطفته، تلغي عقلها، تسير نحو مشاعرها الجميلة، لكن مع شخص خطأ،،، كم أتمني أن يكون من ضمن مواهب هذا الطيب، الذي أن عليه، أن اضرب، أو أحرق، لأشعلت النار في كل هذه النفوس المريضة.

وإذ بشريط الفيديو يبث من جديد، وإذ بي ملقي علي الأرض هذه المرة، والباب يطرق، لا أستطيع أن أقوم من مكاني، كي أفتح، لآري من بالخارج، وإذ بالطرق يزداد، دون إستجابة مني، ثم يكسر أحد الباب، ليدخل الشيخ عصام، أمام المسجد المجاور للسكن، فقد أعتدت أن أصلي معه الفجر في جماعة، ونلتقي سوياً في صلاة العشاء، ولكن مر ثلاثة أيام ولم يراني، وإذ به، يساعدني علي النهوض، ويصب لي الماء في كوب، وينظر إلي مستغرباً:

فيك ايه ياإبراهيم؟

- مش عارف، انا من أمبارح بطني وجعاني

إمبارح إيه؟ أنا مشوفتكش من تلات تيام؟

- ليه ياشيخ مش كنا بنصلي سوا إمبارح؟

ياإبراهيم ! كنا بنصلي فجر السبت، النهاردة التلات

- التلات !

وبعدين مال وشك كده؟ وإيه السواد ال تحت عينك دا؟

- مش عارف مالي؟ وأول ماسمعت الآذان اتجننت

امممم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، كده أنا فهمت، خير ربنا يعافيك يارب

- مالي ياشيخ عصام؟ أنا فيا أيه؟

أنت كده ياإبراهيم حد عاملك سحر

- أكتر حد بيكرهني حمزة، ال معايا في الشغل، عشان أنا أترقيت قبله، وبقيت مديرة، مع أنه أقدم مني

مش مهم مين عمل، المهم، تتعالج ياإبراهيم

وإذ بالفيديو يتوقف من جديد، وأميل بجسدي علي كرسي داخل عربة القطار، كي تهدأ نفسي، لإعاود متعتي، بين الركاب،،،،،،،، أنهض وأسير بينهم، لأري شخص ساد عليه الصمت، مدة هذه الرحلة، وإذ بي أقترب منه لإسمع متاهته، التي يقبع فيها: انا هعمل إيه في بيتي وعيالي، هقولهم إيه بعد ماأترفدت من شغلي، هبص في وش مراتي أزاي؟ عيالي؟ هأكلهم منين؟ هدفع الإيجار منين؟ مدارسهم؟ مصاريفهم؟ بعد كل خدمتي في الشغل دا، وخبرتي، يرفدوني، عشان واحدة جاية بواسطة، ألبسلهم طرحة يعني يمكن أعجب، دنا العيال مستنيني أروح لهم، ال عاوز طقم جديد! وال عاوز كوتشي! وال عاوز ياكل في مطعم ! أقولهم إيه؟ أكسر بخاطرهم أزاي؟ طب رد فعل مراتي هيكون إيه؟طب هلاقي شغل تاني، وأنا في السن دا؟ دنا ضيعت عمري في الشركة، ونسيت نفسي، لا إله إلا الله،،،،،،،،،،،،،،،،،،، تمنيت لو أنني أستطيع أن أحتضنه،

أخفف عنه همه، أعاونه في متاهته، ولكن كرم الله ليس له حدودة، وهو رحيم بعبادة، يقطع من طرف، ليصل من الآخر، والحياة ماهي الإ دوامة كبيرة، والكل فيها، تائه،،،،، وإذ بي أقترب من سيدة، والدموع تملؤ مقلتيها، فسمحت لنفسي أن أسمع ما تفكر به ؟

أنا نفسي- أفرح ببنتي قبل ماأموت، أشوفها بالفستان الأبيض، أسلمها لعريسها، أزورها في بيتها، تجيلي، أروحلها، أشيل أولادها، ال هما أحفادي، يلعبوا معايا وألعب معاهم، أجهزها، أجبلها كل ال هي عاوزاه، ننزل نشتري كل حاجتها سوي، أكون معاها وهي بتولد، أسندها، أطبخلها، أشيل النونو، تحكيلي لما تكون مخنوقة، بس ياتري هلحق كل دا ! والمرض اللعين بينهش في جسمي، طب أعرفهم في البيت أني تعبانه ! لا .. لا مش هقولهم عشان ميزعلوش، كويس أن متعبتش في خطوبتها، ربنا سترها، طب أستعجل العريس! جايز لسه بيجهز، ومش هيقدر، دبرني يارب، أنا محتارة،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،، لتاني مرة أشعر بالدموع تنهمر من عيني، أتحسسها علي خدي، ألمسها بأناملي، لعنة الله علي هذا المرض الخبيث، الذي يدمر البيوت، ينهش السعادة من القلوب، كما ينهش هو الجسد، سيدة كل ماتتمناه رؤية ابنتها تتزوج، تزفها إلي عريسها، تكون لها عوناً، ولكن هذا المرض، لا يعرف خواطر، بل لا يعرف سوا

الهلاك، والدمار، ونهش الأجســاد، ولا يهدأ قبل وفاة من يغزو جســـــــــــــــــــــــــــــــده،،،،،،

وإذ بي أنتقل إلي عربة أخري، وهي الأولي المكيفة، حيث تتغير القصــص والأشــخاص، لأشم عطراً مميزاً، يشــع مع فتاة تجلس بجانب صــديقتها، أقتربت منها، فهي عبارة عن مكياج يخرب منه فتاة، ترتدي ملابس قصــيرة، تغطي بعض أجزاء من جســدها، الذي شُــكل علي يد جراح تجميل، وهذه المرة لا أحتاج إلي أن أدخل إلي عقلها، فهي تتحدث مع صــديقتها بصراحة، أقصــد بـــــوقـــاحـــــة، قـــــائـــــلةً:

انا عاوزاكي تبقي عارفة مصلحتك، أهم حاجة في الدنيا الفلوس، ال يقولك غير كده حمار، زمن المبادئ أنتهي، تقدري تقوليلي عملتلك إيه الأخلاق، التربية، دراســـتك، جوزك ال طلقك، جســـمك هو ال هيجري وراكي الرجالة، والفلوس، والعربيات، هتصــيفي في الســاحل، وهتعيشي في كومبوند، في الأول أهلك هيزعلوا شـــوية، لكن بعد كده هما ال هيجروا وراكي، من كتر الفلوس، والهدايا، والسفر كمان في أي مكان،،،،،،،،،،،،،،،،،

ســـاقطة تجر من تقف علي الحياد، تفُســـد من حولها، فهي كالفيرس، لا تحب أن تري من هو نقي، لكي لا تشـــعر بدناءتها، إن كانت تشعر من الأساس، سلعة رخيصة، وزبائنها أرخص.. وإذ بي أتمني أن لو بيدي مسدس لأطلق عليها وابلاً من الرصاص

قبل أن تفسد كل من حولها، وتجرهم إلي طريق نهايته سوداء،، أتجول بعيداً عنهم إلي رجل، ذو وقار، يظهر من بدلته، ونظارته، وساعته، أنه من أصحاب النفوذ، فأثار فضولي أن أسترق سمع مايفكر به، وهل أصحاب النفوذ يفكرون مثلنا؟ يفكر ب: عزت بيه راح، عزت بيه جه، حراسه، ومكتب، وناس بتنحنيلي، وناس بتخاف مني، وناس بتتمنالي الرضا أرضي، أنا عبارة عن منظر، بدلة شيك، ساعة شيك، برفان شيك، منصب رفيع، عيالي في مدارس خاصة، عايش في مكان كويس، علاقات قوية، وكله في الفاضي، لا راتب بيكفي، ومقضيها سلف من أبويا، ولا عارف أشتغل شغلانة تانية، ولا زوجة عاقلة وراسية، كل همها الخروجات والنوادي، أي موظف ولا عامل غلبان احسن منه، عنده بيت بسيط، إلتزامات بسيطة، مش ملزم بأي منظرة بألوف، وياسلام لو مراته عاقله وبتحوط عليه... أستمعت إلي مافي عقل عزت بيه، تفاجأت أن أصحاب النفوس مثلنا، يعانون، تأهون في مشاكلهم وبيوتهم، لطالما ظننت أنهم محصنون، بل الموضوع أصبح أكثر من ذلك، أنهم يحسدوننا علي مانحن فيه من بساطة وهدوء، بالرغم من الجميع يحسدهم..... وإذ بي قررت الإنتقال إلي عربة قطار عادة، فمشاكل ركاب العربات المميزة، أصبحت أكثر منا ولكن لا يقدروا علي إظهارها، وإذ بشخص يجذب إنتباهي، هادئ الطباع، يظهر عليه السكينة،

أقتربت منه، فسمعت حمده وشكره، فما زادني إلاً إصراراً علي معرفة من يكون هذا الشخص، فقرأت ما يدور في باله، وهو: الحمد لله في السرـاء والضرـاء، أنا مش عاوز يارب غير الستر والصحة، مش عاوز حاجة من حد، أربعين سنة شغال علي أيدي، سترتني وأتجوزت، وأنعمت عليا وخلفت، وكرمتني وربيت وعلمت وجهزت، كنزي في الدنيا عيالي، وأنت مباركلي فيهم، إبتلتني بشوية تعب، فصبرت، أم العيال ماتت فرضيت، وكل ال نفسي فيه، اطلع أزور بيتك، وأسلم علي حبيبتك " عليه أفضل الصلاة والسلام"، يارب الستر والصحة وزيارة بيتك..... أقشعر جسدي بما يقوله هذا الرجل، ماكل هذا الحمد والرضا؟ كيف كرمك الله بهذه النعمة؟ أدامها الله عليك، ورزقني مثلك، سواء كنت طيف.. عفريت.. أو أي شئ،،،،،، وإذ بشرـيط الفيديو يعرض لقطة جديدة من ذكرياتي التعيسة، حين وضعت كل ما أدرخته من غربتي، في شركة إستثمارية مع صديق لي، وقد كانت تدر عائد مادي ممتاز، ولكن وصلني إتصال وأنا في غربتي، أن الشركة قد أغلقت، ولاذ صديقي، أو من كنت أظن أنه صديقي بالفرار، سارقاً كل أموالي معه، بل وأموال الكثيرين، وفي الحقيقة هو لم يسرق أموالنا فقط، بل سرق أحلامنا، آمالنا، خرب بيوت البعض، وأنا منهم، إذ غضبت زوجتي مني، لأنها كانت تشك به، ولا تحبه منذ البداية،

وأخذت تعنفني، حتي طلبت الطلاق، وغيري الكثير من ضاعت أحلامهم، وأموالهم حتي من الذين باعوا مصوغاتهم الذهبية، كل هذا من أجل عائد مادي، يساعد علي مصاريف الحياة،،،،،،،

وإذ بالقطار يصل إلي محطته، ويفرغ من الركاب، وأجلس فيه وحيداً، ربما هي حقيقتي أن أكون دائماً وحيداً خرجت من القطار، أتجول بين الناس، ثم خرجت من محطة القطار بأكلمها، لأجد نفسي في محطة سيدي جابر بالأسكندرية، فرحت كالطفل، حينما يعلم أنه سيزور عروس البحر المتوسط، تنقلت بين المصيفين، علي الشاطئ، أشعر بما يشعرون به الآن، وقت المرح، الوقت الذي تنسي فيه متاعب العام كله، تنتشر الشماسي علي الشاطئ، وبائعي الفريسكة، وغيرهم،،،،،،،،، أنام علي شازولنج أمام بحر شاسع، لا تعرف نهايته، أستمتع بالشمس، والأجواء رائعة، وإذ بشخص يحدثني في داخلي، أستعد، للفيديو القادم، وماهي إلا لحظات، ورأيت أمامي شاشة الفيديو تبث فيديو، لمن هجرتني، لمن باعت عِشرتي، وظهرت حقيقتها، في أزمتي، بعد شهور عدتها، إذ بخطوبتها علي ابن خالتها، كم كنت أحمق؟ رأيت نظراتهم، يوم زفافي، ولم أكن أتصور أن هذا سيحدث يوماً ما، حرمتني من ابنتي، التي في حضانتها، حتي فرصتي في ضم ابنتي لي، بعد زواجها، ستضيع لأن القانون

يحكم بأن تكون في حضـــانة أمها، التي هي خالة العريس، لم أجد لنفسي ـــ مكان، قررت الرجوع مرة آخري، إلي الكويت، أبتعد قدر الإمكان، أو بالأصح أهرب قد المســـتطاع، توقف البث، وتوقفت رغبتي معه، أعتصر قلبي حزناً، فلم أري أبنتي منذ مدة. أتجول في الأسكندرية، غريباً وحيداً ولكن لست تائهاً هذه المره، فا أنا أحب هذه المدينة، بكل مافيها، روحها، جوها، فهي مدينة عشـقها الإسـكندر الأكبر، وعشـقها كل ما له إحسـاس وذوق، زُرت المعمورة، أشـــاهد الحبيبة، وركوب العجل، وملاهيها المختلفة، فأشتقت إلي المنتزة، وقررت أن أطفوا إليه، مستخدماً خواصي الجديدة، وحينما أنا جالســاً، متكئاً علي جذع شجرة، إذ بالفيديو يعمل من جديد، ولكن غالباً محرك الدمي، أخطأ، فوضع في محتواه أشياء عجيبة، ومقاطع غريبة، أو ربما حدث ولا أتذكرها، وما الفارق؟ فا أنا جثة هامدة الآن، لما لا أســـتمتع قليلاً، أري نفسي ـ مســافراً من الكويت إلي أمريكا، حيث الأضــواء ونجوم هوليود، والحسناوات الشقر، وإذ بي أعمل في شركة مسؤلة عن التنقيب، من أجل إستخراج البترول، وأنا أعمل علي حفار، ربما غيرت مجالي الوظيفي، أو ربما لم أجد ســـوي هذه المهنة أنذاك، فالمعهود أن شـــهادتي وغيري لا تصـــلح إلا في دولتي وأقصـــاها الخليج، ســـوا ذلك، لا يعترفون بنا، وإذ بنا كفريق عمل، نبحث في صحراء نيفادا عن البترول، وبعد شـهور من العمل، أصـدمت

رأس الحفار بشئ، أنزلنا كاميرا، لنري بماذا أصدمت؟ فإذا بجبل من الذهب ! سادت الدهشة علي الجميع، وتعالت أصوات الفرحة والإنتصار، عملت المعدات لشهر كامل علي إظهار هذا الجبل، وأستطعنا أن نكسر منه جزءاً، تم توزيعه علينا، جزء منه، جعلني مليونير، عوضني الله عن خسارتي من من سرقني، عن طليقتي، ولكن كنوز الدنيا لا تعوضني عن أبنتي،،،،،،،،،،،،،، وإذ بالفيديو يتوقف، وتمكن محرك الدمي من تحريكي أخيراً مرة أخري، بعد محاولات كثيرة بائت بالفشل، إذ أجد نفسي في مبني كبير، تحت الأرض، وأري أشخاص في هيئة بشرية ولكن ليسوا من البشر، وعددهم كثير... كثير جداً، يصنعون أسلحة غريبة، وتظهر قوتها، مقارنة بما أعرفه من أسلحه وقدرتها القتالية، حتي تختلف في شكلها، تشبة الأطباق الطائرة، هل هؤلاء فضائيين؟ من المؤكد أنه لا، فإذا كانوا من الفضاء، فلماذا هم أسفل الأرض؟ أسئلة كثيرة تدور في ذهني، لم أعرف لها إجابة، ولكن ما قطع تفكيري، من هو قائدهم، أنه بشري تماماً، هو من يقودهم، يلبس ملحفة غريبة، وقناع علي وجهه، ويرتدي سلسلة عجيبة عبارة عن مثلث كبيرة يتوسطه عين، ربما يسكنها جن، إذ بالفيديو يبث مشاهد أخري قديمة لي، وأنا أقود سيارتي، أفكر في أبنتي، التي لا أستطيع رؤيتها للمرة العاشرة، ولم تأتي بها جدتها لموعد الرؤية، كما هو محدد قانوني، فا أمها الآن تقضي شهر زفت

مع ابنه خالتها، تتسارع الأفكار والذكريات التي جمعتنا سوياً، وإذ بي أفقد تركيزي وأهيم في ذكريات، تشـــغلني عن الطريق، فقد سجلت عيني هذا المنظر، لقد أصطدمت بسيارة نقل كبيرة، قبل أن أفقد وعي، أصـــبحت الآن أعرف، كيف مت؟ ولكن لا أعرف من أنا الآن؟ هل أســـتطيع أن أنتقم من طليقتي؟ أنتقم من كل من أذاني؟ربما... ولكن من الواضح أنه ليس الآن..... تذكرت حينما قال أبي لي، وأنا صـــغير " يابني أن تهت، روح المســجد"، فما وجدت نفسي ـ إلا ذاهباً إلي مســجد المرسي أبو العباس، أقف أمامه، أقترب منه، أخلع حذائي، أقف أمام القبلة، ولكن أسمع من ينادي بإسمي: إبراهيم.. إبراهيم، نظرت إليه في إستغراب، من يستطيع أن يراني، ويحدثني؟ وكيف له ذلك؟ فا أنا لا أعلم من أكون بعد! أقترب مني، وإذا برجل مســـن، لم أراه في حـــيـــاتي، أقســـــم عـــلي ذلك، قـــالي : أنت مستغرب أني شايفك صح؟

- طبعاً، أنا بقالي كتير أوي لوحدي، ومحدش بيشوفي مهما حاولت، ولا بيسمعني مهما صرخت

عشان أنت مت يا إبراهيم، مين بيسمع ميت

- أفهم من كده أنك أنت كمان ميت ؟

اه، ميت، في حادثة زيك، وعرفتك عشـــان ال زينا بيبقي فوق رأسه علامة

- بس أنا مش شايف فوق رأسك علامة، ياجح؟

محسن، أسمي محسن.. والعلامة دي هتشوفها وهتشوف حاجات كتير وتكتشف حاجات أكتر، لما تعرف تفهم نفسك، وتحل ألغاز متاهتك

- طب أنت برضو بتشوف فيديو، زي منا بشوف؟
- حد بيحركك زي منا حد بيحركني؟
- بطير من مكان لمكان زي، ولا أيه ال بيحصل معاك؟

كل ال أنت قولت عليه دا، حصـــل معايا، ولما فكرت براحة، وبهـدوء، عرفـت أركز أني أحـل لغز متـاهتي، وبقيـت بعرف أســـيطر كويس علي كل حاجة، أهم حاجة متســـبش عقلك يلاعبك، لأنه لو لاعبك، هو ال هيخلص عليك، ويلا بينا نصلي سوا، وبعدين نبقي نكمل كلامنا، ومتقلقش هعلمك كل حاجة

- تمام ياجح محسن
- الله أكبر

وإذ بمن يحرك جسـدي بشـدة، فتتحرك كل أحشـائي من شـدة هزته، وعيني مغمضـــة، وأسمع صـــوتاً ليس بالغريب علي أذني، يردد، بضحكة عالية: قوم .. أصحي .. قوم

ففتحت عيني، لأجد نفسيـــ علي فراشي في منزلي، وقد وقع الغطاء من علي جسـدي، وأبي وأمي يجلسـان بجانبي، يضـحكان بشدة، فكنت أحلم، وأتحدث وهما يستمعان إلي حديثي وأنا نائم، وأصحبت أضحوكة العائلة، أنني من رأيت الفضـائيين دون غيري، وأطير بلا أجنحة، ومن وقتها أصـــبحت أنام مغطي بلحافيين، وأحياناً أكثر.

" أتغطوا كويس وانتو نايمين"

" أي مشكلة تقع فيها، حط رجل علي رجل،
وقولها أحرك فاضي، متقلقش مش هتتحل، بس
علي الأقل هتبقي معزوم بس مستمتع"

" إحذروا، قد أزوركم في أحلامكم، ولنبدأ
مناهج جديدة..سوياً"

" لا تقع سجين، لأي أفكار سلبية، تفائلوا،
فالأفكار تجلب الأقدار "

" إهداء إلي عقلي، الذي مازال سليماً، بعد كل هذا العبث"

" يلا ننام عشان نكرر المعاردة بكره تاني،
جاهزين؟ "

" نصيحة هامة: ال ينزل من حياتك لما تتلغبط،
مينفعش يرجعلك لما تترتب"

" لا تفكر في الإنتحار أبداً، ربنا قادر ياخدك،
بس أنت قول ياربب "

" ليس هناك أفضل من نعمة الحمد، فلا تنظروا
إلي حياة غيركم"

" الحياة مستشفى مجانين، مفتوحة مجاناً للجميع"

" رفقاً بالآخرين "

" ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتسوس به نفسه
ونحن أقرب إليه من حبل الوريد"

ق-الآيه ١٦

للتواصل مع الكاتب

" لو بتخاااف، أوعي تنام "

أوعي تنام يا إبراهيم